رؤية الله فى : الدنيا .. والآخرة

٣٢ قال الله تعالى فى الحديث القدسى :

« يَا مُـوسَى ، لَنْ تَرَانِى ، إنَّهُ
لَنْ يَرَانِى حَىٌّ إلا مَـاتَ ، وَلا
يَابِسٌ إلا تَدهْدَه[١] ، ولا رَطْب
إلا تفـرَّق . إنمـا يَرانِى أَهْلُ
الجنَّةِ الذِين لا تَمُوتُ أَعْيُنهم ،
ولا تَبلَى أجْسَادُهُم » [٢]

---

(١) يتدهده : يتدحرج . والدهدهة : قذفك الحجارة من أعلى إلى أسفل ، دحرجة . دهدهه : قلب بعضه على بعض . (لسان العرب ـ مادة : دهده).

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٠/ ٢٣٥) ، وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٣/ ٥٤٤) وعزاه للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول عن ابن عباس قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ .. (١٤٣)**﴾ (الأعراف) .وأورد السيوطى أثرًا آخر فى الدر المنثور (٣/ ٥٤٦) وعزاه لابن جرير وابن مردويه والحاكم وصححه عن ابن عباس : « إن موسى لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه ، فسأله فقال : ﴿**لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ .. (١٤٣)**﴾ (الأعراف) قال : فحف حول الجبل بالملائكة ، وحف حول الملائكة بنار ، وحف حول النار بملائكة ، وحف حولهم بنار ، ثم تجلى ربك للجبل تجلى منه مثل الخنصر ، فجعل الجبل دكًا وخر موسى صعقًا ، فلم يزل صعقًا ما شاء الله، ثم إنه أفاق فقال : ﴿ **سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)**﴾ (الأعراف) يعنى : أول المؤمنين من بنى إسرائيل» .

يقصُّ علينا رَبُّ العِزَّة سبحانه هذا الموقف مع موسى كليم الله فى قرآنه فيقول :

﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣) ﴾

(الأعراف)

لا بُدَّ أنْ نعرف أن قضية رؤية الله فى الدنيا محسومة ، وأنه لا سبيلَ إلى ذلك والإنسان فى جسده البشرى ، لأن هذا الجسد له قوانينُ فى إدراكاته ، ولكن يوم القيامة نكون خَلْقًا بقوانين تختلف .

ففى الدنيا لا بُدَّ أن تخرج مُخلّفات الطعام من أجسادنا ، وفى الآخرة لا مُخلَّفات ، وفى الدنيا يحكمنا الزمن ، وفى الآخرة لا زمن ، إذْ يظلُّ الإنسان شبابًا دائمًا . إذن : فهناك تغيير .

المقاييس هنا غير المقاييس يوم القيامة ، ففى الدنيا بإعدادك وجسدك لا يمكن أن ترى الله ، وفى الآخرة يسمح إعدادك وجسدك بأن يتجلى عليك الله سبحانه وتعالى ، وهذا قمة النعيم فى الآخرة .

أنت الآن تعيش فى آثار قدرة الله ، وفى الآخرة تعيش عيشة الناظر إلى الله تبارك وتعالى .

ولقد حسم الله تبارك وتعالى المسألة مع موسى ـ عليه السلام ـ بأن أراه العجز البشرى ؛ لأن الجبل بقوته وجبروته لم يستطع احتمال نور الله فجعله دكًا .

وكأن الله يريد أن يُفهِم موسى أن الله تبارك وتعالى حجب عنه رؤيته تعالى رحمة منه ، لأنه إذا كان هذا قد حدث للجبل ، فماذا كان يمكن أن يحدث بالنسبة لموسى ؟

وإذا كان موسى قد صُعِق برؤية المتجلَّى عليه ، فكيف لو رأى المتجلِّى ؟

والمانع لرؤية الله هو عدم قدرة الإنسان على الإحاطة البصرية بالله . فنحن نعلم أن كُلَّ تكوين له قدرة استقبال لما يناسبه من أشياء ، وضربنا لذلك مثلاً من دُنْيانا العملية ، ولله المثَلُ الأعلى دائمًا ، وهو مُنزَّه عن كل مثال .

نجد الإنسان منّا عندما يُدخِل الكهرباء إلى بيته لرغبته فى الانتفاع بقانون النور والضوء لمدة أطول وبفوائد الكهرباء المتعددة ، ولكنه عندما يريد أنْ ينامَ فهو يطلب الانتفاع بقانون الظُّلْمة ، فيطفىء المصابيح ، ويضع مصباحًا صغيرًا لا يتحمل أن يأخذ الطاقة مباشرة من الكهرباء من مصدرها القوى .

لذلك يأتى الإنسان بمُحوِّل للطاقة ، فيستقبل المحوِّل طاقة الكهرباء العالية من مصدرها ويُخفِّضها بصورة تناسب المصباح الصغير ، وهكذا نحتفظ بضوء ضعيف فى الليل لنستفيد من قانون الظلمة لننام .

لذلك يقول الحق سبحانه عن نفسه :

﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ (الأنعام)

ولماذا لا تدركه الأبصار ؟ لأن البصَر آلةُ إدراك لها قانونها بأن ينعكس

الشعاع من المرئيّ إلى الرائى ويحدده ، فلو أن الأبصار تدركه لحددته، وأصبح مَنْ يراه قادراً عليه ، ولصار مقدوراً لكم ، لأنه دخل فى إدراككم .

فلو أنك أدركت لله لكان الله مقدوراً لبصرك ، والقادر لا ينقلب مقدوراً أبدًا ، إذن: فمن عظمته أنه لا يُدْرك : أنت قد ترى الشمس ولكن أتدَّعى أنك أدركتَها ؟ لا ، لأن الإدراك معناه الإحاطة .

فإذا أحاطت الأبصار بالله انقلب البصر قادراً ، وصار الله مقدوراً عليه ، والقادر بذاته ـ كما قلنا ـ لا ينقلب مقدوراً لخَلْقه أبدًا .

وقد وقف العلماء وقفة كبيرة واختلفوا :

هل الإنسان يرى ربه أو لا يراه ، سواء فى الدنيا أم فى الآخرة ؟

بعضهم قال : لا أحد يرى الله بنصِّ الآية : ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾ .

ونقول : لكن هناك آيات فى القرآن تقول :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ (القيامة)

و « ناظرة » تضمن الرؤية وتُفيدها ، وأيضًا فالله يعاقب منْ كفر به ، بأن يحتجب عنه ، لأنه سبحانه القائل :

﴿ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ﴾ (المطففين)

فالكافرون محجوبون[1] عن رؤية الله عقابًا لهم ، ولو اشتركنا معهم

(١) الحجاب : الستر الحاجز . والمحجوب : الممنوع من الوصول . وقال ابن كثير فى تفسيره (٤/ ٤٨٥) : « قال الإمام الشافعى : فى هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه ـ عز وجل ـ يومئذ . وهذا الذى قاله الإمام الشافعى رحمه الله فى غاية الحسن ، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية ، كما =

وحُجِبنا كما حُجِبوا ، فما مَيْزتنا كمؤمنين ؟

وحين يَحتجُّ عالم منهم بأن رؤية الله غير مُمكنة لأن ربنا سبحانه قال لموسى :

﴿ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي (١٤٣) ﴾ (الأعراف)

فلماذا لم يلتفت هذا العالم إلى قول الحق :

﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ[1] مُوسَىٰ صَعِقًا (١٤٣) ﴾ (الأعراف)

إذن : فالله يتجلى لبعض خَلْقه . أما أن يراه الخلق فى الدنيا فلا ، لأن تكويننا غير مُؤهَّل لأنْ يرى الحق سبحانه ، بدليل أن الأصلب والأقوى منَّا وهو الجبل حينما تجلى ربه عليه اندكَّ .

فلما اندكَّ الجبل خَرَّ موسى صَعِقًا ، فإذا كان موسى قد خرَّ صَعِقًا[2] لرؤية المتجلَّى عليه وهو الجبل فكيف لو رآه ؟ إذن : فهو غير مُعَدّ له .

وموسى قد واعده ربه ليأتيه ، فقال تعالى :

= دل عليه منطوق قوله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ (القيامة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل ـ فى الدار الآخرة رؤية بالأبصار فى عرصات القيامة وفى روضات الجنات » .

(١) خر يخر : سقط من علو إلى سفل بصوت . (القاموس القويم ١/ ١٩٠) .

(٢) الصعق : أن يُغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه ، ثم استعمل فى الموت كثيراً . (لسان العرب ـ مادة : صعق).

﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً .. ﴿١٤٢﴾ ﴾ (الأعراف)

وقيل : كان موسى ـ عليه السلام ـ قد قام بإعداد نفسه للقاء ربه ، ولابُدَّ أن يكون الإعداد بطُهْر وبتطهير وبتزكية النفس بصيام ، فصام ثلاثين يومًا ، وبعد ذلك أنكر رائحة فمه ، فأخذ سواكًا وتسوك به ليذهب رائحة فمه .

فأوضح الحق سبحانه له : أما علمتَ يا موسى أن خلوف[1] فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ، وما دمت قد أزلت الخلوف وأنا أريد أن تقبل علىّ بريح المسك فزد عشرة أيام ، حتى تأتى كذلك[2] .

وعندما جاء موسى للميقات كَلَّمه ربُّه ، وتكليم الله لموسى هو نقطة تميُّز لموسى ، ولذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الأعراف)

وحينما خَصَّ الله موسى بميزة أنْ تكلَّم إليه ، حصل من موسى استشراق اصطفائى ، وكأنه قال لنفسه : ما دام قد كلمنى ربى فقد أقدر أن أراه ، لأن

---

(١) الخلوف : تغيُّر ريح الفم لتأخر الطعام . (لسان العرب ـ مادة : خلف).

(٢) أخرجه الديلمى فى الفردوس بمأثور الخطاب (٥٣٠٩) عن ابن عباس رفعه : « لما أتى موسى ربه وأراد أن يكلمه بعد الثلاثين يومًا وقد صام ليلهن ونهارهن ، فكره أن يكلم ربه وريح فمه ريح فم الصائم ، فتناول من نبات الأرض فمضغه ، فقال له ربه : لم أفطرت ـ وهو أعلم بالذى كان ـ قال : أى رب كرهت أن أكلمك إلا وفىّ طيب الريح . قال : أو ما علمت يا موسى أن ريح فم الصائم عندى أطيب من ريح المسك ، ارجع فصم عشرة أيام ثم إيتنى ، ففعل موسى الذى أمره ربه ، فلما كلم الله موسى قال له ما قال » . وأورده السيوطى فى الدر المنثور (٣/ ٥٣٥) وعزاه للديلمى .

استطابة الأُنس تمدُّ للنفس سُبُل الأمل فى الامتداد فى الأشياء ، مثلما قال موسى من قبل رَدّاً على سؤال الله :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ (طه)

كان الجواب يكفى أن يقول « عصا » لكنه قال :

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ(١) بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي .. ﴿١٨﴾﴾ (طه)

قال ذلك على الرغم من أن الحق لم يسأله : ماذا تفعل بها ؟

وأراد بالكلام أن يُطيلَ الأُنس بربه ، وكأنه عرف أنه من غير اللائق أن يكون الجواب مجرد كلمة ، رَدّاً على سؤال .

ولله المثَل الأعلى ، نجد الإنسان منّا حين يرى طفلاً صغيراً فهو يداعبه ويُطيل الكلام معه إيناسًا له ، وحين وجد موسى أن الله يُكلّمه استشرفت نفسه أنْ يراه .

وموسى لم يَقُلْ : أَرِنى ذاتك ، بل قال : ﴿ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ كأنه يعلم أنه بطبيعة تكوينه يعرف أنه لا يمكن أن يرى الله ، لكن إنْ أراه الله فهذا أمرٌ بمشيئة الحق ، وقدَّم موسى الطلب مُعلَّقًا بمشيئة الله وإرادته ، لأنه يعلم أنه غير مُعَدٍّ لاستقبال رؤية الله ، لأن تكوينه لا يقْوى على ذلك .

---

(١) هش الشجر يهشه : ضربه بعصًا ليسقط ورقه لتأكله الماشية . قال تعالى عن موسى: ﴿ وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴿١٨﴾ ﴾ (طه) أى : أسقط بعصاى أوراق الأشجار على غنمى لتأكلها . (القاموس القويم ٢/ ٣٠٣) .

وحتى فى الوحى والكلام لم يُكلِّم ربُّنا الناس مباشرة ، بل لا بُدَّ أن يصطفى من الملائكة رُسُلاً ، ثم تكون مرحلة ثانية أنْ يصطفى من البشر رُسُلاً ، ويُبلّغ الرسلُ الناس كلامَ الله ، لأن الصفات الكمالية العالية الخالقة لا يمكن أنْ يستوعِبها المخلوق .

وسبحانه هنا يُعلّل لموسى بعملية واقعية فأوضح :

لن ترانى ولكن حتى أطمئنك أنك مخلوق بصورة لا تُمكِّنك من رؤيتى انظرْ إلى الجبل ، والجبل مفروضٌ فيه الصلابة والقوة والثبات والتماسك ، فإن استقرَّ مكانه يمكنك أن ترانى .

إن الجبل بحُكْم الواقع وبحُكْم العقل ، وبحُكْم المنطق أقوى من الإنسان وأصلب منه وأشدّ ، ولما تجلَّى ربُّه للجبل اندكَّ ، والدَّكُّ هو الضغط على شىء من أعلى لِيُسوَّى بشىء أسفل منه .

فطبيعة موسى لا تَقْوى على تجلِّى الله ، بدليل أن الأقوى منه لم يَقْوَ .

والحق سبحانه لم يقُلْ : « أنا لا أُرَى » بل قال « لن ترانى » .

فهناك فرق بين العبارتين . أنا أُرى ، لكن أنت بتكوينك الحالى الدُّنْيوى لن ترانى ، إنما قد تُغيَّر حالتك إلى أنْ ترانى ، وإذا كان البشر يستطيعون أن يجعلوا لمن لم يَرَ شيئًا أن يرى ، فيظل يُقوِّى من بصره إلى أن يرى .

وبعد ذلك أراد الله أنْ يلفتنا لَفْتة تصاعدية ، ويُبيِّن لنا أن موسى قد صُعِق لرؤية المتجلَّى عليه ، فكيف لو رأى المتجلّى ؟

يقول الحق سبحانه :

﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ... ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف)

ويُقال : خَرَّ الشيء إذا سقط من أعلى إلى أسفل . وصَعْقة موسى تُعبِّر عن الإغماءة الطويلة ، فهى صعقة ليست مميتة ، وأفاق سيدنا موسى من الصَّعْقة ، وانتبه إلى أنه لم يكن من اللائق أن يطلب الرؤية المباشرة لله .

لقد انصعق ؛ لأنه سأل ربنا ما ليس له به علم .

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف)

وتوبة موسى هنا من أنه سأل الله ما ليس له به علم ، ولأنه لم يقف عند التجليّات المخالفة لنواميس الكون ، وأن ربنا قد أعطاه بدون أن يسأل ، لقد كلَّمه الله ، فلماذا يُصعّد المسألة ويطلب الرؤية ؟

ولماذا لم يترك الأمور للفُيوضات التى يعطيها الله له ، ويتنعَّم بفيض جود لا ببذْل مجهود ؟

ويُقرّر موسى ويقول : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف)

أى : بأن ذاتَك ـ سبحانك ـ لا يقدر مخلوقٌ أنْ يراها ويُدركها ، لقد شعر موسى ببعض من انكسار الخاطر ، لأنه طمح إلى ما يفوق استطاعته ، وقال :

﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف)

ويُذكِّر الحق سبحانه بنى إسرائيل بما قالوه ، فقال :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (البقرة)

فبعد أن تاب الله على قوم موسى بعد عبادتهم العجل عادوا مرة أخرى إلى عنادهم وماديّتهم ، فَهُمْ كانوا يريدون إلهًا ماديًا ، إلهاً يرونه ، ولكن الإله من عظمته أنه غَيْب لا تُدركه الأبصار .

فكوْنُ الله سبحانه وتعالى فوق إدراك البشر ، هذا من عظمته جَلَّ جلالُه ، ولكن اليهود الذين لا يؤمنون إلا بالشيء المادى المحسّ ، لا تتسع عقولهم ولا قلوبهم إلى أن الله سبحانه وتعالى فوق المادة وفوق الأبصار .

فهم طلبوا الرؤية مَجْهورة واضحة يُدرِكُونها بحواسِّهم ، وهذا دليل على أنهم مُتمسِّكون بالمادية التى هى قِوَام حياتهم .

نقول لهؤلاء : إن سؤالكم يتسِمُ بالغباء ، فهم لم يلتفتوا إلى أن بعضًا من كمال وجلال الله غَيْب ، لأنه لو كان مشهودًا مُحسّاً لَحُدِّد وحُيِّز ، وما دام قد حُدِّد وحُيِّز فى تصوُّرهم ، فذلك يعنى أنه سبحانه قد يوجد فى مكان ، ولا يوجد في مكان آخر.

والحق سبحانه مُنزَّه عن مِثْل ذلك ؛ لأنه موجود فى كُلِّ الوجود ، ولا نراه بالعين ، لكن نرى آثار أعمال وجميل صُنْعه فى كُلِّ الكون.

إذن : فكَوْنُ الله غَيْباً هو من تمام الجلال والكمال فيه ، لكن اليهود قد

صَوَّروا الأشياء كُلَّها على أنها حِسِّية ، حتى أمور اقتيات حياتهم وهى الطعام ، لقد أرادها الله لهم غَيْباً حتى يُريحهم فى التيه ، فأرسل عليهم المنَّ والسَّلْوى[1] كرزق من الغيب الذى يأتى إليهم ، لم يستنبتوه ، ولم يستوردوه ، ولم يعرفوا كُنْهه ، ولم يجتهدوا فى استخراجه.

إنه رِزْق من الغيب[2] ، ومع ذلك تمرَّدوا على هذا الرزق القادم لهم من الغيب ، وقالوا كما أخبر الله عنهم :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا[3] وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا[4] بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (البقرة)

إنهم يريدون أن يكون طعامهم كما أَلِفُوا ، وأنْ يَرَوْا هذا الطعام كأمر مادىّ من أمور الحياة ، لذلك تشكَّكُوا فى رِزْق الغَيْب ، وهو المنّ والسَّلْوى وقالوا : « مَنْ يُدرينا أنَّ المنَّ قد لا يأتى ، وأنَّ السَّلْوى قد لا تنزل علينا ».

---

(١) المن : ندى يشبه العسل كان الله ينزله على الأشجار غذاء طيبًا لبنى إسرائيل. والسلوى : السمانى ، وهو طائر صغير من رتبة الدجاج وجسمه ممتلىء وهو من الطيور المهاجرة من أوربا في الشتاء إلى البلاد الدافئة لمصر والسودان ويعود ما سلم منه فى أوائل الصيف إلى موطنه فى أوربا ، وأهل العريش بشمال سيناء مشهورون بصيده. (القاموس القويم ١ / ٢٤٠ ، ٢ / ٣٢٦)

(٢) قال تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (البقرة).

(٣) البقل : نبات عشبىّ يؤكل أو تؤكل بذوره ، أو كل ما اخضرت به الأرض. والفوم : الثوم. وقيل فيه أقوال أخرى : الحنطة ، الحمص. (القاموس القويم ٢ / ٩٢).

(٤) باءوا : رجعوا بإثم استحقوا به النار. (لسان العرب - مادة بوأ)

فلم تكُـنْ لهم ثِقَــة فى رزق وُهب لهم من الغــيب ، لأنهم تـناولوا كل أمورهم بمـادية صِرْفـة ، وما دامت كل أمورهم مـادية فهم فى حـاجة إلى هِزّة عنيفة تهزُّ أوصال ماديتهم هذه ، لِتُخرجهم إلى معنى يؤمنون فيه بالغيب.

فرغْم أنهم رَأَوا المعـجزات ، وشَقَّ الله البحر لَهُم ، وعبـروا البحر وهم يشاهدون المعجزة فلم تكُنْ خافـية عنهم ، بل كانت ظاهرة لهم واضحة ، دالّة دلالة دامغة على وجود الله سبحانه وتعالى وعلى عظيم قدراته.

ورغم هذا فإن اليهود قالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جَهْرة ، أى لم تكْفِـهم هذه المعـجزات ، وكـأنما كـانوا بماديتـهم يريدون أنْ يروا فى حياتهم الدنيوية مَنْ لا تدركه الأبصار.

أما فى الآخرة فسيكون الإنسان قد تَمَّ إعداده إعداداً آخر ليرى الله ، نحن الآن فى هذه الدنيا بالطريقة التى أعدَّنَا بها الله لِنحيا فى هذا العالم لا نستطيع أنْ نرى الله.

ومسألة إعـداد شىء ليمارس مهمـةً ليس مُؤهّلاً ولا مُهيَّـأ لها الآن ، أمر موجـود فى دُنْيانا ، فنحن نعرف أن إنسـاناً أعمى يَتم إجراء جـراحة له ، أو يَتم صناعة نـظارة طبية له فـيرى ، ومَنْ لا يسـمع أو ثقيل السـمع نصنع له سمـاعة فيسمع بها.

فإذا كـان البشـر قد اسـتطاعوا أنْ يعـدُّوا بمقـدوراتهم فى الكون أشـياءَ لِتُؤهّلهـم إلى استعـادة حاسَّة مـا ، فمـا بالُنا بالخالق الأكـرم الإله المربّى ، ألاَ

يستطيع أنْ يُعيد خَلْقنا فى الآخرة بطريقة تتيح لنا أنْ نرى ذاته ووجهه ؟

إنه القادر على كُلِّ شىء.

إن آيات القرآن صريحةٌ فى أن رُؤْية الحق سبحانه وتعالى من نِعَم الله على المؤمنين ، وهى زيادةٌ فى الحُسْنى عليهم.

قال تعالى :

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ[1] وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (يونس)

فالزيادة عطاء زائد فى الحسنات ، فهناك «كادر» للجزاء بالحسنات ، يبدأ بعشرة أمثال الحسنة ، ويصل إلى سبعمائة ضعف ، أما السيئة فبواحدة ، وهذا الكادر لا يُحدِّد فضل الله ، بل الحق سبحانه يزيد من فضله مَنْ يشاء.

فمراتب الجزاء تتعدد : فهناك العشرة الأمثال ، والسبعمائة ضعف ، والحُسْنى ، والزيادة عن الحُسْنى.

وقد قال رسول الله ﷺ فى ذلك :

«إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ قال : يقول الله تبارك وتعالى : تُريدون شيئاً أزيدكم ؟

فيقولون : ألم تُبيِّض وُجُوهنا؟ ألم تُدخِلْنا الجنة ، وتُنجِّنَا من النار ؟

قال : فيكشف الحجاب فَما أُعْطُوا شيئاً أحبّ إليهم من النظر إلى ربِّهم

(١) القترة : غبرة يعلوها سواد كالدخان. (لسان العرب - مادة : قتر).

عز وجل»[1].

إنه نعيم على قَدْر إمكانات الله سبحانه ، ولا مُقارنَة بين إمكانات الله وإمكانات خَلْقه ، وفوق ذلك فهو نعيمٌ دائم لا يتركك فيزول عنك ، ولا تتركه لأنك فى الجنة خالدٌ لا تموت.

يقول تعالى :

﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) ﴾

(التوبة)

فَمَنْ عبدَ الله لِيدخلَ الجنةَ أعطاها له ، ومَنْ عبده سبحانه لأنه يستحق أنْ يُعبد فسوف يرتقى فى الجنة لِيرَى وجه الله فى كُلِّ وقت ، وأما الآخرون الذين أطاعوا رجاءَ ثواب الجنة فسيرونَه لمحاتٍ ، ولذلك يكون الجزاءُ فى الآخرة على قَدْر العُمْق الإيمانىّ للعبد.

وجنَّةُ الآخرة ليس فيها مُنغِّصَات الدنيا ، بل هى صفاء واستمتاع ، يعطى فيها الحق سبحانه وتعالى لعبده مَا تشتهيه نفسه ويُبعد عنه جميع المنغِّصات ، وهو نعيمٌ مُقيمٌ دائم لا ينتهى.

❑❑❑

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه (١٨١) ، والإمام أحمد فى مسنده (٤/ ٣٣٢) ، والترمذى فى سننه (٢٥٥٢) من حديث صهيب الرومى ، وقد شرحه فضيلة الشيخ الشعراوى فى هذا الكتاب (١/ ٣٦٧ - ٣٨٤)